البرقية زادت واحداً وستين في المئة . والشعب الالماني لم يزد في هذه المدة الاَّ نحو احد عشر ونصف في المئة اي ان البضائع زادت اكثر مما زاد السكان بعشرة اضعاف . وقد زادت كذلك في بلاد الانكليز وفرنسا واكثر من ذلك في الولايات المتحدة

ويمكن الافاضة في هذا الموضوع واطلاقه على كل الاعمال التي لا تقتصر على عمل اليدين ولكن في ما تقدم الكفاية لاثبات ما نحن بصدده وهو ان تغلب الانسان على قوى الطبيعة واستخدامه اياها لاغراضه بواسطة الآلات والادوات التي اخترعها حديثاً قد احلَّ بميزان التجارة والصناعة السابق واتصل هذا الخلل بُعَيْد سنة ١٨٧٣ الى كل الممالك المتمدنة ولم يسبقه خلل يضاهيه ولا دليل على انهُ سيزول تماماً وتعود الاحوال الى مجراها الاوَّل

الكتابة[1]

لسيادة العلاَّمة اقليمس يوسف داود مطران دمشق على السريان

انهُ من الامر المعلوم لكلّ خبير انَّ العرب الشماليين لم يكونوا سابقاً يقرأون ولا يكتبون لغتهم حتى تعلموا صناعة الكتابة في نحو القرن الخامس او السادس بعد المسيح وتعلموها من السريان . ويتَّضح ذلك بكل التأكيد اولاً من صور الحروف العربيَّة كما هي في القلم الذي استعملوهُ اولاً وهو الذي يقال له الكوفيّ . اذ هي شبيهةٌ بصُوَر الحروف السريانيَّة غاية الشبه * وثانياً من ترتيب الحروف العربيَّة الذي يقال فيهِ ابجد هوز الخ . اذ هو نفس ترتيب الحروف السريانيَّة * وثالثاً من القوَّة العددية التي للحروف العربيَّة في حساب الجمَّل . اذ هي كما يستعملها السريان من دون ادنى اختلاف * ورابعاً من اسماء اكثر الحروف . فانَّ الالف والجيم والدال والزين والشين والصاد والفاء والقاف والكاف واللاَّم والميم والنون والهاء والواو هي كلها سريانية . ومن هذه الاسماء السريانيَّة اربعة رخَّمها العرب بجزم حرفٍ من اواخرها وهي الجيم والدال والصاد واللام بدل جيل . ودالث . وصادي . ولامذ * وخامساً يتبين ذلك من ان كل حرفين يُلفظان من مخرج واحد لهما صورة واحدة في القلم العربيّ كما في السريانيّ . فانَّ التاء والثاء لهما صورة واحدة . وكذلك الدَّال والذَّال . وكذلك الصاد والضاد . وكذلك الطاء والظاء . وكذلك العين والغين . كلُّ ذلك على نسق القلم السرياني . ومن المعلوم ان التنقيط في القلم العربي لتمييز اللفظ الواحد من الآخر هو امرٌ محدث * سادساً يتأكد ان اصل الخط العربي هو من

(١) نقلاً عن كتاب جديد له عنوانهُ النصارى . نجد كلاماً عليهِ في اواخر هذا الجزء

السرياني من ان كل الحروف المتصولة في العربيّة اي التي الواحد منها يكتب متصولاً بما بعده هي كذلك متصولة في الخط السرياني . فان الالف والدال والراء والزاي والواو تكتب منفصولة في كلتا اللغتين العربيّة والسريانيّة * سابعاً من الادلّة القاطعة على ان الكتابة العربيّة هي في الاصل سريانيّة حذف الالف اذا جاءت حرف مدّ في حشو الكلمة . وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانيّة . وكان ذلك شائعاً كثيرًا في مبادئ الكتابة العربيّة كما تشهد مصاحف القرآن القديمة اذ يكتب فيها بلا الف : ابرهيم . اسرئيل . اسمعيل . الرحمن . الخسرون . الشكرون الظلمون . الصالحت . المسلمت . الدهنين . المجد . الملئكة . ثلث . ثلثون . ثمنية . الى غير ذلك مما لا يحصى . بدل ابراهيم . اسرائيل . اسماعيل . الرحمان . الخاسرون . الشاكرون . الظالمون . الصالحات . المسلمات . الدهاقين . المساجد . الملائكة . ثلاث . ثلاثون . ثمانية . كل ذلك تبعاً للغة السريانيّة التي فيها تكتب هذه الكلمات وامثالها بلا الف * وهذا الوجه كثير منه محفوظ في الكتابة العربيّة الى اليوم . ومنه ما هو واجب . نحو هذا وهذي وهؤلاء وذلك واولئك ولكن والله * وكل هذه الالفاظ الاخيرة كاكثر السابقة توجد بنفسها في السريانيّة وتكتب فيها بلا الف

ثم انه لاشك انّ العرب تعلموا الكتابة من اهل برّ الشام الذين هم اقرب السريان اليهم . فاذًا نحكم بكل التاكيد وبدون ادنى شك ان اهل الشام كانوا يستعملون اللغة السريانيّة في نحو القرن الخامس او السادس الذي فيه بدأ العرب ان يكتبوا بالقلم الكوفيّ المتولد منه القلم النسخي الدارج اليوم * وقبل القلم الكوفيّ كان قد اشتهر في اليمن من بلاد العرب قلم آخر متخذ من القلم السرياني وذلك في الدولة المشهورة التي ينال لها الحميريّة ويسمي علماء الافرنج هذا القلم القلم السبائي * ومن الواضح انه لو كانت اللغة اليونانيّة متغلبة في بلاد الشام لكان العرب اتخذوا الكتابة من اليونانيين لا من السريان مثلما اتخذها منهم القبط في بلاد مصر حيث كانت اللغة اليونانيّة متغلبة * وكذلك الحبشة في نحو ذلك الزمان تعلموا الكتابة من سريان بلاد الشام لا من اليونانيين اذ ان حروف قلمهم تشبه الحروف السريانية شبهًا شديدًا[1] * وكذلك الارمن كانوا يكتبون قديمًا بالقلم السرياني الى ان قام فيهم إمامهم مسروب المشهور واستنبط لهم القلم

(١) الغالب ان الحبشة تعلموا الكتابة من السريان لا راسًا لكن بواسطة عرب اليمن الذين ينال لهم السبائيون والحميريون الذين جرت بينهم وبين الحبشة وقائع كثيرة في سالف الزمان لمجاورتهم بعضهم لبعض . فان قلم الحبشة شبيه بالقلم الحميري غاية الشبه حتى انه لما بدأ الافرنج في مبادئ هذا القرن ان يكشفوا على الحجارة القديمة المكتوبة بهذا القلم الحميري الذي كان مجهولاً الى ذلك اليوم لم يمكن علماءهم ان يقفوا قراءته الاّ بمقابلة القلم الحبشي

الذي يستعملونهُ الى اليوم * والحاصل ان اليونانيين مع شهرة لغتهم وعلومهم وحذاقتهم في الصنائع العالية لم تتخذ أُمة من الامم الشرقية الكتابة منهم الاَّ القبط في برّ مصر . وذلك لان السريان لم يكونوا في بلاد مصر كما كانوا في بلاد الشام وغيرها

وليس هذا محل بيان الفضل العظيم الجليل الذي اولتهُ الامة السريانيَّة للعالم بصناعة الكتابة التي هي اساس كل عمران وكل تمدن . فان الخبير يعلم ان اشرف الامم القديمة كالعبرانيين واليونانيين واللاتينيين تعلمت الكتابة من الامَّة السريانيَّة . ومن اللاتينيين تعلمت الكتابة بقية أُمم اوربا كلها الاَّ قومًا من الصقالبة * وكذلك امة الفُرْس المشهورة في التواريخ القديمة وامة التتر التي يقال لها ويكور وغيرها من الامم المجاورة اتخذوا الكتابة من السريان . وكثير من العلماء المحققين ذهبوا ان الاقلام المستعملة الى اليوم عند الامم الهنديَّة باللغة السنسكريتية والتي عند اهل تبت وغيرهم من الامم التي في اسيا المتوسطة اصلها من القلم السرياني . حتى انهُ يسوغ لنا ان نقول بكل الحق ان العالم المتمدن اليوم في اوربا كلها (الاَّ جزءًا زهيدًا منها) واميركا كلها واوقيانيا كلها وجانب عظيم من اسيا وافريقيا ملزوم ان يعترف بفضل صناعة الكتابة لفرع من الجنس السامي وهو السرياني

حاشية في صناعة الكتابة * مذكور في آثار اليونانيين القديمة ان امة اليونان تعلمت الكتابة من شرذمة فونيَّة قدمت اليها من الجهة الغربيَّة من بلاد الشام في القرن السادس عشر قبل المسيح بقيادة رجل اسمهُ قَدْمَا (وهو اسم سرياني معناهُ الاوَّل) * وهنا لنا ان نعتبر اوَّلاً ان هذا الخبر لا يترتب منهُ ان الفونيين (والعامة تكتب اليوم في بيروت وغيرها فينيكيين) هم الذين اخترعوا صناعة الكتابة كما استنتج قوم من المؤلفين اذ لم يعتبروا ان جلب الصناعة من مكان الى مكان وتعليمها للآخرين هو شيء . واختراعها هو شيء آخر * ثانيًا ان جمهور العلماء المحققين اجمعوا اليوم في اوربا على انَّ صناعة الكتابة التي تعلمها اليونانيون وسائر الامم المتمدنة القديمة والحديثة لم يحدث اختراعها الاَّ في احدى شُعَب الامَّة الساميَّة . واذ انهُ من المقرَّر ان السريان الشرقيين الذين يقال لهم الكلدان هم الذين سبقوا في العمران والتمدن سائر فروع الامة الساميَّة وفاقوا عليهم جميعًا ان لم نَقُل على سائر امم العالم القديمة وهو الارجح . فالعقل يضطرُّنا ان ننسب اختراع صناعة الكتابة الى الكلدانيين الذين هم السريان الشرقيُّون . ثالثًا ان الذين جلبوا صناعة الكتابة الى اليونانيين وعلَّموهم اياها كانوا سريانيين بلا شكّ ولو ان اليونانيين فونيين اذ انهم اي اليونانيين لم يكونوا يعرفون من السريانيين الاَّ الفونيين الذين كانوا سكان سورية البحرية وذلك لكثرة جولانهم في البلاد واسفارهم البحرية المشهورة والذين يصحّ فيهم القول

انهم كانوا شاميين اي سوريين[1] .

والدليل القاطع على ذلك اي على انّ الذين علّموا اليونانيين صناعة الكتابة كانوا سريانيين هو ان اسماء الحروف كما تعلّمها اليونانيون من ذلك القوم هي سريانية اذ ان اغلبها مختوم بالف الاطلاق . وتلك عادة لا توجد الاّ في اللغة السريانية من بين جميع الشعوب السامية . فان اليونانيين يقولون : الفا . بيتا . غمّا (بدل غملا) . دلتا . كپا بالپاء الفارسية . لمْدا الخ . واما العبرانيون مثلاً الذين اجمع العلماء على انّ لغتهم كانت واحدة مع لغة الفونيين فيقولون : آلف . بيث . غامَل . دالث . كافْ . لا مَدْ الخ . فاليونانيون لم يتعلموا هذه الاسماء من الفونيين لكن من السريانيين الذين من عادتهم ان يطلقوا اواخر الاسماء بالالف .[2] واعتبر انّ هذه الاسماء كما في عند اليونانيين قد أطلقت اواخرها بالالف على حسب قاعدة السريانيين التي تقتضي ان تحذف الحركة الخفيفة التي قبل الآخر عند الحاق الف الاطلاق . فانّ اليونانيين يقولون ألفا غمْلا . دلْتا . لمْدا . الخ بسكون الحرف الذي قبل الآخر . ولم يقولوا : آلفا . غاملا . دالتا . لامدا . الخ كما كان واجبًا ان يقولوا لو تعلّموا هذه الاسماء من الفونيين الذين كانوا يقولون آلف . جامَل . دالث . لامَدْ . الخ ٭ هذا ما يخصّ اليونانيين . واما اللاتينيون فعندنا دلائل ليس هذا محلّ ايرادها تدلنا على انهم لم يتعلموا الكتابة من اليونانيين كما تظن العامة لكن من السريانيين او الفونيين انفسهم رأسًا ٭ واما العبرانيون فتعلّموا الكتابة من السريان الشرقيين مرّتين . المرّة الاولى لما رحل ابرهيم الخليل جدّهم من اور الكلدانيين وجاء تبوّأ برّ الشام في القرن

(١) ان كون الكتابة اليونانية اصلها من السريانيين او الفونيين هو امر تاريخي مؤكد لا يحتمل ادنى ريب وقد اجمع عليه العلماء كلهم اجمعون . وادلة ذلك ظاهرة واضحة الى الغاية . فانه اولاً القلم اليوناني والقلم الفونيّ او السرياني القديم يتشابهان في صوَر الحروف كل الشبه . ثانيًا اسماء الحروف لدى اليونانيين هي سريانية . ثالثًا صفّ الحروف ونظامها في الابجدية اليونانية هو كما في الابجدية السريانية مع اختلاف يسير طرأ على الابجدية اليونانية في مرور الزمان لسبب اختلاف طبع اللغة اليونانية من طبع اللغات السامية التي السريانية واحدة منها . رابعًا قوّة الحروف اليونانية في حساب الجمل هو كما في السريانية من دون ادنى اختلاف حتى ان حرفين سريانيين سقطا من الابجدية اليونانية لها صورتان سريانيتان في حساب الجمل اليوناني وهما الواو والقوف . اما ان اليونانيين يكتبون من اليسار الى اليمين مع ان السريانيين يكتبون من اليمين الى اليسار فلا اشكال فيه . فان اليونانيين ايضًا كانوا قديمًا يكتبون من اليمين الى اليسار

(٢) السريان يلفظون اليوم اسماء الحروف الابجدية بلا الف الاطلاق اي بالجزم . لانه عند السريان يجوز حذف الف الاطلاق من آخر الاسم وذلك يسمى الجزم عندهم فكأنّ السريانيين كانوا في الاوّل يلفظون اسماء الحروف الابجدية بالف الاطلاق كما في عادتهم في جميع الاسماء ثم بعد ذلك جزموها كما يجزمون سائر الاسماء وصاروا يلفظونها مجزومة فقط

العشرين قبل المسيح . وكان قلمهم حينئذٍ يقرب من القلم الذي يستعملهُ اليوم السمرة ويقال له القلم السامريّ ونسبهُ اليهود . والمرّة الثانية في القرن السادس قبل المسيح اذ كانوا في جلاء بابل فتعلموا القلم السرياني الذي كان حينئذٍ دارجًا في بابل وهو الذي يقال له عند الافرنج القلم المربّع ويسميهِ اليهود القلم الاثوري اي الكلدانيّ وبقوا يستعملونهُ الى يومنا هذا

البدو

لجناب رفضلو سليمان افندي البستاني (تابع ما قبلهُ)

وللبدو في الغارات والغزوات عادات انفوها ويستعملون في حروبهم السيف والطبر (القأس) والمزراق وأكثر اعتمادهم على الرماح وقد كثر الآن استعمال البنادق فهم دائمًا بين مهاجم ومدافع. وكأنّ في ذلك حكمة تدفعهم الى حظر النهب والتكاثر اتّكالاً تضيق دونهم ارضهم. فالحليف يُعرَف عندهم بالصديق والعدوُّ بالغوم او الغوميّ فاذا قصدوا الغزو وكان العدو كثيرًا ساروا اليهِ شرذمةً قليلةً والاّ فجماهير كثيرة وهم على كلتا الحالتين يسيرون إما لكسبٍ يأملونهُ واما للثأر يأخذون بهِ . ولهم في الحرب فنون خاصة اتخذوها منذ القديم . فمن ذلك انهم اذا تاقوا الى الغزو واشتاقوا الى السلب ارسلوا السوايير او "الطواريش" وهم الرقباء او الجواسيس فاذا انتهم "العلوم" اي الاخبار بما انسوا منهُ خيرًا ساروا بيت فرسان ومشاة ومراديف وظلّوا في اكثر الاوقات فرقةً واحدةً حتى يبلغوا حيث يقصدون فتتقدم الفرسان وتتخلف عنهم جماعة "المراديف" وهم بعض ركبة الابل يسيرون زوجًا زوجًا على كل بعير وتتبعهم المشاة فاذا تراءى لهم "الزول" عن بُعدٍ قبل ان يفرقوهُ اطلعوا من الفرسان "طليعةً" قليلةً تغير بخيلها وهم يتبعونها خببًا حتى تدنو اليهِ دنوًّا تخفقهُ بهِ وبين الفريقين مرامي ارماح كثيرة فتنحرف "الطليعة" شرقًا او غربًا او جنوبًا او شمالاً على غير الطريق المتخذة . ولكلٍّ من هذه المراكض معانٍ معلومة عندهم وهي التي يدعونها "بالعرض" وعرض الجيوش مأخوذ منها فاذا عرفوهم حُلفاء عرفت الحملة كلها وتدانوا دون ان يتماسوا بضر . والاّ فانهم يتفرّقون فرقًا او يسيرون فرقةً واحدةً حسب اقتضاء الموقف والكثرة ويتشبب القتال بينهم فان لم يظفروا بهم عادوا خاسرين وان ظفروا تولوهم وخلفوا جماعة تسوق ما تصيب من الابل والماشية والفرسان تتبع الفرسان فمن قتلوهُ منهم او اسروهُ او طرحوهُ عن ظهر فرسهِ اخذوا فرسهُ وهو "الطليعة" عندهم يحسبونهُ خير مغنم. فاذا رجعوا على قومهم ظافرين غانمين لاقتهم النساء بالملاهل والاهازيج